المحاضرة الحادية عشر : الروايـــــــــــة

1)تمهيد :

تُعدّ الرواية من أبرز الأجناس الأدبية وأكثرها قدرةً على تصوير الحياة الإنسانية بكل ما تحمله من تعقيد وتنوّع. فهي مرآة تعكس واقع المجتمع، وتغوص في أعماق النفس البشرية، وتوثّق التحولات الاجتماعية والفكرية عبر الزمن. وقد استطاعت الرواية أن تجمع بين المتعة الفنية والرسالة الفكرية، مما جعلها تحظى بمكانة متميزة في الأدب العربي والعالمي.

2)مفهوم الرواية :

الرواية جنسٌ أدبيٌّ نثريٌّ طويل يقوم على سرد أحداثٍ متخيلة أو واقعية، تُبنى حول شخصيات متعددة تتحرك في إطار زمانٍ ومكانٍ محددين. وتهدف الرواية إلى تصوير الحياة الإنسانية في أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية، من خلال حبكة مترابطة وأسلوب فني يعتمد على السرد والوصف والحوار.

3)نشأة الرواية العربية:

على الرغم من أن الرواية العربية الحديثة ظهرت متأخرة نسبيًا، فإن للأدب العربي القديم جذورًا سردية واضحة مهدت لظهور هذا الفن، إذ عرف العرب أشكالًا متعددة من السرد القصصي، وإن لم تُسمَّ آنذاك رواية بالمعنى الاصطلاحي الحديث. فقد تجلّى ذلك في القصص الشعبي والسير الشعبية مثل *سيرة عنترة بن شداد* و*سيرة بني هلال* و*سيرة الظاهر بيبرس*، التي اعتمدت على تسلسل الأحداث وتعدد الشخصيات وبناء الحبكة، وهي عناصر أساسية في الرواية الحديثة.

كما برز السرد في القصص الديني والتاريخي في كتب الأخبار والتاريخ مثل *الأغاني* للأصفهاني و*تاريخ الطبري*، حيث نجد السرد والوصف والحوار وتقديم الشخصيات ضمن

إطار زماني ومكاني محدد. وإلى جانب ذلك، مثّلت المقامات، ولا سيما مقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري، شكلًا سرديًا متقدمًا يقوم على الحكاية وتكرار الشخصية المحورية والراوي، رغم غلبة الزخرف اللغوي والأسلوب البلاغي.

وتُعدّ *ألف ليلة وليلة* من أبرز الأعمال السردية في التراث العربي لما تتضمنه من تعدد الحكايات وتشابك الأحداث وبناء العوالم التخيلية وتنوع الشخصيات، مما يجعلها أقرب الأشكال التراثية إلى فن الرواية. ومع ذلك، وعلى الرغم من غنى هذه الأشكال السردية وتنوعها، فإنها لم تصل إلى الرواية بمفهومها الحديث، وذلك لغياب البناء الفني المتكامل، والتحليل النفسي العميق للشخصيات، ووحدة العمل الفني.

أما في العصر الحديث فقد نشأت الرواية العربية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، في سياق تاريخي اتسم بتحولات فكرية واجتماعية عميقة عرفها العالم العربي، خاصة مع احتكاكه المتزايد بالثقافة الغربية. وقد أسهم هذا الاحتكاك في تعريف الأدباء العرب بالأجناس الأدبية الحديثة، وعلى رأسها الرواية، التي كانت قد بلغت مرحلة متقدمة من النضج في الأدب الأوروبي، مما دفع الكتّاب العرب إلى محاولة محاكاتها واستلهام تقنياتها الفنية.

وكانت حركة الترجمة من أهم العوامل التي مهدت لظهور الرواية الحديثة، حيث تُرجمت في القرن التاسع عشر العديد من الروايات الأوروبية إلى العربية، سواء ترجمة مباشرة أو عن طريق الاقتباس والتصرف. ومن الأمثلة على ذلك ترجمة بعض أعمال ألكسندر دوما وفيكتور هوغو، والتي عرّفت القارئ العربي بأساليب جديدة في السرد وبناء الحبكة وتصوير الشخصيات. وقد شكّلت هذه الترجمات مدرسة أولى تعلّم منها الكتّاب العرب فن الرواية.

كما لعبت الصحافة والطباعة دورًا بارزًا في انتشار الرواية الحديثة، إذ نُشرت كثير من الروايات على شكل حلقات متسلسلة في الصحف والمجلات، مما ساعد على توسيع دائرة

القرّاء وتشجيع الكتّاب على الاستمرار في هذا الفن. وقد أسهم هذا النشر المتسلسل في ترسيخ تقنيات التشويق وربط القارئ بالأحداث والشخصيات.

وفي المراحل الأولى، ظهرت الرواية التاريخية بوصفها الشكل الأكثر شيوعًا، حيث وجد فيها الكتّاب وسيلة للتوفيق بين التراث والحداثة. ويُعد **جرجي زيدان** من أبرز رواد هذا الاتجاه، إذ ألّف عددًا كبيرًا من الروايات التاريخية مثل *فتح" الأندلس"*و"صلاح الدين الأيوبي"،التي اعتمد فيها على أحداث تاريخية حقيقية، مزجها بالخيال الروائي بهدف إحياء التاريخ العربي وبث الوعي القومي.

ومع تطور التجربة الروائية، بدأت تظهر محاولات أكثر نضجًا من الناحية الفنية، وكان صدور رواية *"زينب"* . **ل**محمد حسين هيكل علامة فارقة في تاريخ الرواية العربية الحديثة. فقد اتسمت هذه الرواية بالتركيز على الحياة الريفية، وتحليل مشاعر الشخصيات، والاهتمام بالوصف الواقعي، مما جعلها تُعد أول رواية عربية فنية متكاملة من حيث البناء والأسلوب.

ثم تواصل تطور الرواية الحديثة على يد كتّاب كبار مثل **طه حسين** الذي قدّم روايات ذات بعد فكري واجتماعي، و**توفيق الحكيم** الذي مزج بين الرواية والفلسفة، كما بلغت الرواية العربية مرحلة النضج مع أعمال **نجيب محفوظ**، الذي صوّر المجتمع المصري في مختلف طبقاته، كما في ثلاثيته الشهيرة *"بين القصرين، قصر الشوق، السكرية"*،معتمدًا الواقعية الاجتماعية والتحليل النفسي العميق للشخصيات،و هي العمل الذي نال عليه جائزة نوبل في الآداب عام 1988.و قد كتب نجيب محفوظ العشرات من الروايات التي تصور واقع المجتمع المصري ،و تحول كثير منها إلى أعمال سينمائية ناجحة ،و منها :الكرنك ،السمان و الخريف ،أولاد حارتنا ،و غيرها .

وهكذا، فإن الرواية العربية الحديثة لم تظهر فجأة، بل جاءت نتيجة تفاعل عوامل متعددة، من ترجمة واحتكاك ثقافي وصحافة ونهضة فكرية، وانتقلت تدريجيًا من مرحلة التقليد والمحاكاة

إلى مرحلة الإبداع والتجديد، حتى أصبحت فنًا أدبيًا قادرًا على التعبير عن قضايا الإنسان العربي في مختلف الأزمنة.

4)نشأة الرواية في الجزائر :

نشأت الرواية الجزائرية في ظروف تاريخية وثقافية خاصة، ارتبطت أساسًا بمرحلة الاستعمار الفرنسي (1830–1962)، وما خلّفه من تحولات عميقة في المجتمع الجزائري. وقد تأخر ظهور الرواية الجزائرية مقارنة ببعض الأقطار العربية، بسبب سياسة التجهيل والاستعمار الثقافي، غير أن الوعي الوطني وحركات الإصلاح أسهما في تمهيد الطريق لظهور هذا الفن الأدبي.

في بداياتها، ارتبطت الرواية الجزائرية بـ اللغة الفرنسية، إذ كتب بعض الأدباء الجزائريين رواياتهم بهذه اللغة، إما بحكم الدراسة أو رغبة في إيصال صوت الجزائريين إلى العالم. ومن أبرز هؤلاء مولود فرعون، الذي تُعد روايته" *ابن الفقير*" (1950) من أوائل الأعمال الروائية الجزائرية، حيث صوّر فيها معاناة الإنسان الجزائري في ظل الفقر والظلم الاستعماري، بأسلوب واقعي يعكس الحياة اليومية للمجتمع الجزائري.

كما برز مولود معمري بروايته *"الربوة المنسية"*،التي تناول فيها قضايا الهوية والتمسك بالأرض والتقاليد، في مواجهة محاولات الطمس الثقافي التي مارسها الاستعمار. وقد شكّلت هذه الأعمال نواة للرواية الجزائرية الحديثة، وأسهمت في توثيق معاناة الشعب الجزائري والدفاع عن قضاياه.

أما الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، فقد بدأت تتشكل بشكل أوضح بعد الاستقلال، حيث أُتيحت للغة العربية مساحة أوسع في التعليم والإبداع. ويُعد عبد الحميد بن هدوقة من رواد هذا الاتجاه، وتُعتبر روايته *"ريح الجنوب"* (1971) علامة بارزة في تاريخ الرواية الجزائرية، إذ تناولت التحولات الاجتماعية في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، خاصة ما يتعلق بقضايا المرأة والصراع بين التقاليد والحداثة.

كما برز الروائي الطاهر وطار، الذي أسهم في ترسيخ الرواية العربية في الجزائر، ومن أشهر أعماله *"اللاز"*،حيث عالج فيها موضوع الثورة التحريرية، كاشفًا عن تعقيداتها النفسية والاجتماعية، ومبرزًا أثرها في الفرد والمجتمع. وتميّزت أعماله بالواقعية والبعد الفكري والرمزي.

ومع مرور الزمن، تطورت الرواية الجزائرية من حيث الموضوع والأسلوب، فانتقلت من التركيز على مقاومة الاستعمار إلى معالجة قضايا اجتماعية وفكرية أوسع، مثل الهوية، والذاكرة، والتحولات السياسية والثقافية. وأصبحت الرواية الجزائرية مجالًا خصبًا للتجريب الفني والتعبير عن التجربة الجزائرية في مختلف مراحلها.

وهكذا، فإن نشأة الرواية في الجزائر كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بتاريخ البلاد ونضال شعبها، وقد شكّلت وسيلة فنية للتعبير عن الوعي الوطني، ثم تحولت بعد الاستقلال إلى أداة لرصد التحولات الاجتماعية وبناء هوية ثقافية وأدبية مميزة.

5)نصوص و تطبيقات :

تُعد الرواية العربية المعاصرة مرآةً تعكس واقع المجتمعات العربية، وما تشهده من تحولات اجتماعية وسياسية وثقافية. ومن أبرز الروائيين العرب الذين تركوا أثرًا واضحًا في هذا المجال، **نجيب محفوظ**، والذي امتازت أعماله بالعمق النفسي للشخصيات ودقة تصوير الواقع المصري في مختلف طبقاته. وتتميز نصوصه بتشابك الأحداث، وتطور الشخصيات، والسرد الواقعي الذي يمزج بين التاريخ والحياة اليومية، مما يجعلها مادة غنية للتحليل الأدبي والفني.

اختر رواية لنجيب محفوظ و قم بتحليلها متبعا ما يلي :

البنية السردية، وتطور الشخصيات، والموضوعات الاجتماعية والإنسانية التي يناقشها **الكاتب**، بالإضافة إلى الأسلوب الفني الذي اعتمده في معالجة النص، من حيث الوصف والحوار والسرد، لاستكشاف الرسائل الفكرية والجمالية التي يحملها النص.